ذَبْحٌ عَظِيمٌ

أحسن القصص

اعداد: فاطمة الشيخ

أنا الكَبْشُ الذي فَدَيْتُ إسْماعيلَ عليه السلام بِنَفْسي. كانَ فتىً جَميلاً في الثّالِثَةَ عَشَرَ مِنَ العُمْرِ، يُشْبِهُ أَبَاهُ نَبِيَّ اللّه إبْراهيمَ عليه السلام كَثيراً. في السَّماءِ، الكُلُّ يَعْلَمُ ما جَرى، أَخْبَروني أَنَّ إبْراهيمَ عليه السلام -النَّبِيُّ الذي حطّم الأصْنام في زَمَنِ المَلِكِ الكافِرِ والظّالِمِ "نَمْرود"- رَأى في المَنامِ أَنَّه يَذْبَحُ ابْنَهُ، فَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَمْرٌ إلَهِيٌّ يَجِبُ تَنْفيذُهُ، وَأَطْلَعَ وَلَدَهُ -الَّذي كانَ يُحِبُّهُ كَثيراً- لِيَسْمَعَ جَوابَهُ. حَقّاً إنَّه لامْتِحانٌ صَعْبٌ! فَكَيْفَ لِلأَبِ أَنْ يَذْبَحَ فَلْذَةَ كَبِدِه، بَعْدَمَا رَزَقَهُ اللهُ إيّاهُ في الكِبَرِ؟! وَكَيْفَ لِلْوَلَدِ أَنْ يَرْضى بِالرَّحيلِ عَنِ الدُّنْيا ذَبْحاً عَلى يَدِ أَبيهِ الحَنون؟! لَكِنَّ هَذا البَلاءَ لَمْ يَنْزِلْ عَلى شَخْصٍ عادِيٍّ، بَلْ نَزَلَ عَلى نَبِيَّيْنِ مِنْ أَنْبِياءِ الله؛ قَلْباهُما يَلْهَجانِ بِذِكْرِ الله عِشْقاً لَهُ، وَمِنْ أَدَبِ العِشْقِ الإلَهِيِّ: الطّاعَةُ بِدونِ تَرَدُّدٍ أَوْ مُراوَغَةٍ. وَلِذَلِكَ ما كانَ مِنِ إسْماعيلَ عليه السلام إلّا أَنْ قالَ لأَبيهِ بِكُلِّ حُبٍّ وَرِضىً أَنْ يُنَفِّذَ أَمْرَ الله، وَسَيَكونُ إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصّابِرينَ. وَحينَما اقْتَرَبَتِ السِّكّينُ مِنْ رَقَبَةِ إسْماعيلَ عليه السلام نادى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إبْراهيمَ عليه السلام بِأَنْ يَتَوَقَّفَ، وَبَعَثَني إلى إبراهيمَ عليه السلام لِيَذْبَحَني بَدَلاً مِنِ ابْنِهِ الَّذي أَظْهَرَ كامِلَ الطّاعَةِ والتَّسليمِ لله. وَهَكَذا كُنْتُ فِداءً لإسماعيلَ عليه السلام وَقُرْباناً لله، وَصارَ الذَّبْحُ سُنَّةً لِلأَجْيالِ القادِمَةِ الَّتي تُشارِكُ في مَراسِمِ الحَجِّ، وتُوَزَّعُ الذَّبائِحُ على الفُقَراءِ والمحْتاجين.